الميغاليثية والنظم الدفاعية النوميدية.

الدكتور/ مراد زرارقة
جامعة 08 ماي 1945– قالمة

الملخّص:

تهدف هذه المداخلة إلى إبراز أهم النظم الدفاعية النوميدية المنتشرة قرب المعالم الجنائزية الميغاليثية والشبه الميغاليثية بالشرق الجزائري، متمثّلة في البلدات المحصّنة وهي بمثابة قلاع محاطة بأسوار منيعة.

طبيعة موقعها الجغرافي المتوفّر على عدد من المؤهّلات الضرورية كالتكوينات الجيولوجية التي وفّرت المادّة الأساسية لبناء مختلف النظم الدفاعية بالإضافة إلى العامل التضاريسي الذي اختيرت منه أماكن استراتيجية وعرة المسلك يصعب الوصول إليها. هذه المعطيات هي التي أملت على القدامى ضرورة الاستقرار والاحتماء في منطقة معيّنة دون سواها، على غرار مواقع: تيركّابين، هنشير القلعة، بووشّن، سيلا، بونوّارة، إيشوقّان، شنيور....التي عرفت انتشار أكبر المقابر الميغاليثية وشبه الميغاليثية في الشمال الإفريقي في محيط التحصينات الدفاعية.

لم تحض المباني السكنية والتهيئات الدفاعية النوميدية المتزامنة مع فترة بناء المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية ولو بقسط بسيط من الدراسات والأبحاث، إذ بقيت بمثابة الحلقة المفقودة في كيان الثقافة الجلمودية المنتشرة على كامل ربوع شمال إفريقيا. فقد تطرّق الباحثين منذ مطلع القرن التاسع عشر إلى موضوع إبراز مختلف أشكال وأنماط العمارة الجنائزية دون أيّة التفاتة إلى مأوى سكّان بناة هذه العمارة أو التطرّق إلى تحصيناتهم الدفاعية المترامية في أرجاء وعلى مقربة من التجمّعات الجنائزية.

بالتأكيد وجدت العديد من المدن والبلدات والقرى النوميدية قبل الاستعمار الروماني، فيقول كامبس بأنّه بالإمكان نسب للفينيقيين وإلى القرطاجيين بوجه التحديد تأسيس المدن التي نراها حسب حدّ قوله بمثابة مباني الأهالي تخضع لخصوصيات ضرورية ما بين الجهات وخاصّة ما بين الساحل والمناطق الداخلية للبلاد. ويضيف بأنّه قبل إيجاد حلول لهذه المسألة الشائكة المرتبطة بإشكالية التوسّع الإقليمي لقرطاجة وبالمعنى الحقيقي للثقافة البونية وهي معطيات تستلزم الكثير من الانتباه منها:

✓ ما يتعلّق بأسماء المواطن، فإذا ما تمّ إحصاء أسماء البلدات القديمة، نلاحظ أنّ أغلبيتها ذات أصول بربرية، فأسماء المواطن الفينيقية تنتشر أساسا على السواحل غير أنّ التسميّات اللاّتينية لها صلة بالمراكز العسكرية مثل Castellum novum و Ala Miliaria أو إلى محطّات ذات الصلة بمخازن الحبوب Annone مثل Horrea وAd olivam.

ويمكن اعتبار نسبة 80% من المدن هي من أصول ليبية بداخل مختلف المقاطعات الرومانية بإفريقيا. ويمكن ملاحظة أعداد مهمّة منها ذات الضرف المتمثّل في عبارة "لام" LAM بالمناطق الشمالية الغربية للأوراس وبوجه التحديد في المناطق التي شهدت نشأة القوّة الماسيلية أين شيّد معلم المدغاسن ضريح هذه السلالة[1].

لم تقتصر هذه العبارة على المنطقة التي حدّدها كامبس بل نجدها تظهر غربا في مواطن غير خاضعة للمعقل المعهود للماسيليين ويتمثّل فيما بيّنته النصوص القديمة ومختلف المسارات القديمة والمصادر المادية المكتشفة إلى غاية

1 Camps G., Réflexion sur l'origine protohistorique des cités en Afrique du nord. P. 74-75.

يومنا هذا بخصوص تسميّات المدن كالمديّة Lambdia وبرج لغدير Lemelef.

وعن معنى هذه العبارة التي يتعيّن بأنّها ظرف مكان، والتي يرى بخصوصها مارسيي G. Mercier بأنّ Lam أو Lem هي بادئة مشتركة لعدد من المواطن، وعبارة لام إيلف Lemelef تعني موطن أو مسكن الخنزير[1].

كما يمكن ملاحظة أعداد جدّ أهم من الأولى لمدن من نفس الأصول المحليّة تبدأ بتاء التأنيث T, Th بقيت محافظة على أصالتها منذ مختلف الحقب التاريخية القديمة والبعض منها إلى غاية اليوم. ومن جملة أسماء هذه المدن نذكر على سبيل المثال ما يلي:

أ- قائمة أسماء المواطن ذات الضرف "لام": المحيطة أو المطلّة بمقابر ميغاليثية وشبه ميغاليثية.

LAMBDIA	المديّة
LAMASBA	مروانة
LAMBAESIS	تازولت لامباز
LAMIGGIG	سريانة التي يعلوها جبل LAMTARAS
LAMBAFVNDI	هنشير توشين
LAMSORTI	هنشير المعفونة
LAMBIRIDI	خربة أولاد عريف

ب- قائمة أسماء المواطن المسبوقة بتاء التأنيث "ت" "ث" المطلّة على أو المحيطة بمقابر ميغاليثية وشبه ميغاليثية على سبيل الذكر لا الحصر:

1 Mercier G., La langue Libyenne et la toponymie antique de l'Afrique du nord. J.A., Octobre-Décembre 1924. P. 289.

TIGICIS	عين البرج
TIDDIS	تيدّيس
TIPASA النوميدية	تيفاش
THUGGA	دوقّا
THUBURSICU BURE	تبرسق
THIBARI	تيبار –جبل القرّاع–
THIGIBBA	حمّام الزواكرة
THIMIDA BURE	هنشير حوشبطيّة
THALA	تالة

ويضيف كامبس بكون هذه المعطيات، تظهر غناء بالمعلومات وتحتّم بالاعتقاد بأنّ المدن الرومانية الحاملة لهذه الأسماء تتعاقب في الحقيقة على مراكز نوميدية، وتوضّح هذا الأمر أكثر من خلال تاريخ التسيير البلدي، فمدن الأهالي غير الحائزة على القانون اللاّتيني كانت تدرج ضمن Oppida ذات التسيير الإداري المزدوج بخلق قرى للمواطنين الرومان Romanorum Pagus civium يجمع فيه المواطنون الرومان والإيطاليين المقيمين داخل هذه البلدات Bourg.

✓ ومن جهة أخرى يضيف كامبس، بأنّ المؤسسات البلدية لهذه المدن لم تكن متطابقة بالظبط للتنظيمات القرطاجية على مثل مكثر، دوقّا وألتيبوروس المسيّرة من طرف ثلاثة شفّاط، بينما قرطاجة وباقي المدن الإفريقية كانت مسيّرة من طرف شفّاطين إثنين.

ولمزيد من تسليط الضوء على هذه المسألة، يمكن الإعتماد على المعطيات الأثرية السارية بالبلدات الوسطى والشرقية من تونس، فعدد معتبر منها ظهرت للوجود قبل الإستعمار الروماني على غرار دوقّا Dougga، مكثرMactaris، بولاريجيا Bulla regia، شاوش Suas وأوزاليس Vzali. أين تتواجد على

مشارف مراكزها القديمة مقابر ميغاليثية تتميّز بطقوس جنائزية مخالفة تماما لتلك الممارسة من طرف اللاتينيين والفينيقيين. فلا يمكن نسب هذه القبور سوى للبربر الذين سكنوا هذه المدن والبلدات ذات الأصول المحليّة الواضحة من خلال تسميّاتها المحرّفة نوعا ما من طرف اللاّتينيين[1].

ومن ضمن المدن والبلدات والقرى المتواجدة بجزء من الشرق الجزائري ذات الصلة المباشرة بتواجد المعالم الجنائزية والمنتمية إليها من دون أدنى شكّ، لها مميّزات خاصّة تكمن في امتلاكها لنظام دفاعي متمثّلا في إحاطتها بأسوار منيعة نهيك عن موقعها الجغرافي والطبوغرافي الذي اختيرت له أماكن استراتيجية وعرة الوصول وتحتوي في الغالب على مؤهّلات حيويّة كوفرة المياه المتسرّبة على شكل عيون تنفجر من طبقات الكتل الجيرية، مازال البعض منها يتدفّق خلال الفترات المطيرة والثلجية، فأثار العيون مازالت بقاياها تظهر في شكل إنخفاضات مفاجئة للأسس الجلمودية متمثّلة في ثقوب وفتحات خارجية كانت في الأصل عبارة عن منابع متبوعة بأخدود طبيعي سبّبه جريان الماء.

أهمّية مساحة هذه التحصينات تتماشى وكثافة المقابر والمعالم الجنائزية التي زرناها، فرغم عدم صلتهما بأيّة روابط ستراتيغرافية مباشرة نظرا لطبيعة التكوينات الجيولوجية الواقعتين فيها ببروز الجلمود الجيري على السطح إلاّ أننا نعتقد بأنهما متزامنتين وتعودا على الأرجح لنفس الفترة الزمنية ولنفس المجتمعات النوميدية التي كانت تقطن في المنطقة، وهذا راجع من جهة لمسائل تقنيّة كنظام عمارة الأسوار في حدّ ذاتها إذ نجدها لا تتشابه وغير مطابقة ولا تمدّ بصلة لتلك التي ترجع للفترة الرومانية والبيزنطية من حيث طرق القلع والتشذيب والحجم وفي كيفية البناء ورص حجارتها ومن جهة أخرى بعامل

1 Camps G., Réflexions sur l'origine protohistorique des cités en Afrique du nord. PP. 75-76.

مرافقتها وانتشارها بالقرب من العديد من المقابر الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية بالشرق الجزائري والقطر التونسي.

❖ **موقع تيركّابين:**

تتربّع بلدة تيركّابين على هضبة موجّهة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، تقدّر أبعادها بـــ 729 م طولا و 213 م عرضا هذه المقاسات تمنحها مساحة 15.5 هكتار.الجهات الشرقية والجنوبية والغربية فهي مرتفعة وذات منحدرات شديدة أمّا شمالا فالمنحدر أقلّ شدّة...وينتهي على شكل مدبّب في مخنق عميق يدعى بفم الخنقة يجري فيه واد الغرسة النابع من عيون الغرسة في مرتفعات بووشّن. لاحظ A. Vel على مستوى هذا الخنق أثار لجدران مبنية واعتقد بأنّها كانت عبارة عن سدّ يحفظ فيه الماء وبمثابة حاجز دفاعي لتشكيل بركة تغمر منخفض الهضبة، ويرتفع الموقع نحو أعلى الهضبة على شكل مدرّجات، (التي أشتقتّ منها تسمية تيركّابين)، وبالتالي كانت البلدة المبنية فوق هذه الهضبة محمية ومحصّنة طبيعيا، ورغم هذا كانت محاطة بأسوار[1].

ومن ضمن المخلّفات الدفاعية النوميدية التي مازالت آثارها بارزة نذكر:

- قواعد لسور طويل يقدّر متوسّط عرضه بـــ 3 م يمتدّ من زاوية الركن الجنوبي الغربي للبلدة إلى غاية منتصف طولها، لينقطع ثم يعود في البروز ليحيط بأقصى الجهة الشمالية الشرقية. (أنظر الصورتين 1، 2)

- بقايا مسار الصور كاملا مازال يحتفظ بالعديد من صخوره المنهارة للضلع الجنوبي الغربي للبلدة.

1 Vel A., Monuments et inscriptions Libyques relevés dans les ruines de Tir-Kabbine. RSAC, T. XXXIX, 1905. PP.196-197.

- مخلّفات لنتوءات أفقيّة طبيعية للكتل الجيرية، نحتت على شكل مخروطي لتسهيل استعمالها كسلالم تسمح بالصعود والحركية نحو ممر الأسوار من الدّاخل من الجهة الشمالية الغربية المرتفع عن الموقع.

- بقايا واضحة لبرج دائري الشكل قطره يقدّر بـــ 17.40 م، متربّع في الزاوية الجنوبية الغربية للبلدة (أنظر الصورة 3) تلتصق به أسوار الضلع الطولي الجنوبي الشرقي والسور العرضي الجنوبي الغربي في نقطة حسّاسة يمتدّ منها ذراع مسطّح نعتقد باستعماله بمثابة الممر الوحيد للعالم الخارجي. وكثرة الصخور المنهارة قد تفسّر وجود طابق علوي، ومقاساته الكبيرة بالإضافة إلى اتصاله المباشر على الجوانب مع الأسوار توحي بأنّ حركيّة الولوج كانت تتم من داخله. (أنظر الشكل 1)

الصورة 1: قاعدة السّور الجنوبي الغربي.(تصوير الباحث)

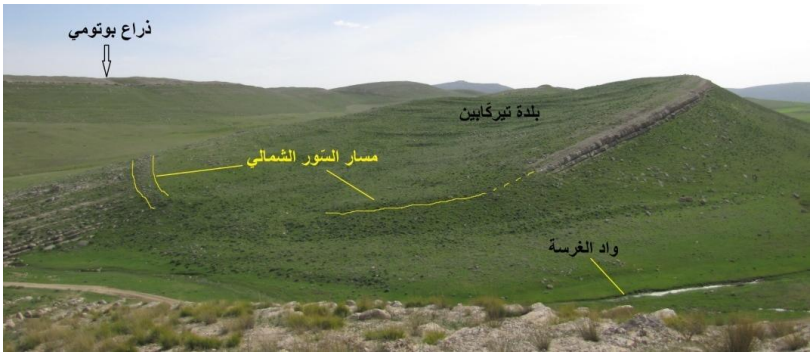

الصورة 2: بقايا ومسار السّور الشمالي لبلدة تيركّابين. (تصوير الباحث)

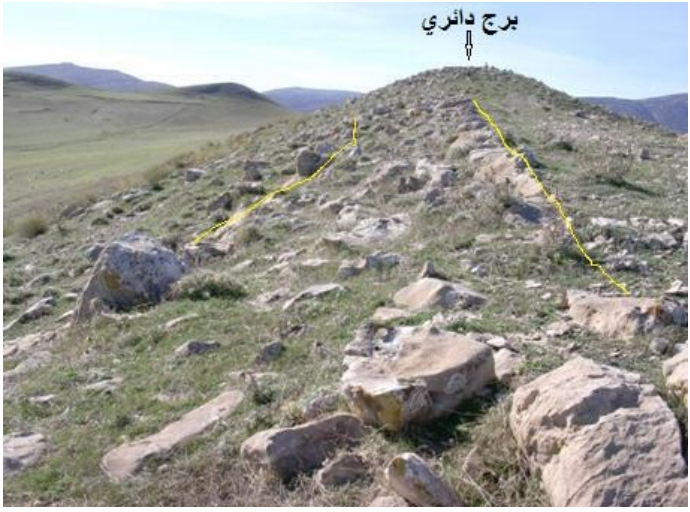

الصورة 3: برج دائري منهار كان يراقب مدخل البلدة. (تصوير الباحث)

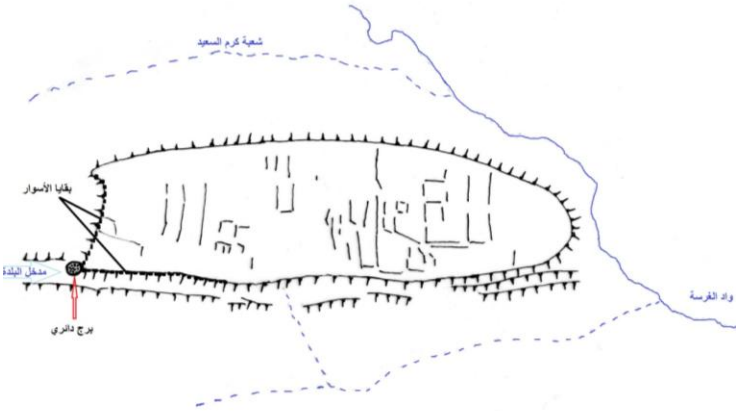

الشكل 1: مخطّط عام لبلدة تيركّابين. (إنجاز الباحث)

أما السطح الداخلي للبلدة الذي تواصل فيها الإستقرار بعد سقوطها وتهديم أسوارها، فمازالت بقايا جدرانها المبنية بالنظام البربري بارزة وأعيد استعمالها من طرف الرومان والبيزنطيين.

تجدر الإشارة إلى إبراز ظاهرة في غاية الأهميّة، تتمثل في وجود رابط ستراتيغرافي بين كل من بلدة تيركّابين النوميدية ومقبرة التلال الجنائزية بذراع بوتومي متكوّن من جدار مزدوج البناء على نمط النظام البربري يمتدّ من أقصى الجهة الجنوبية الغربية من بوتومي على مستوى التلال الجنائزية الكبيرة الحجم التي تختم انتشار التلال الجنائزية من فوق هذا الذراع عابرا مختلف المرتفعات إلى أن يصل ويربط الجهة المقابلة على مستوى ذراع تيركّابين المؤدّي مباشرة إلى بلدة تيركّابين، وكأنّ لهذا الجدار دور روحي وعقائدي يثبت الصلة بين الموقعين أحدهما للأحياء والأخر للموتى (أنظر الصورة 4).

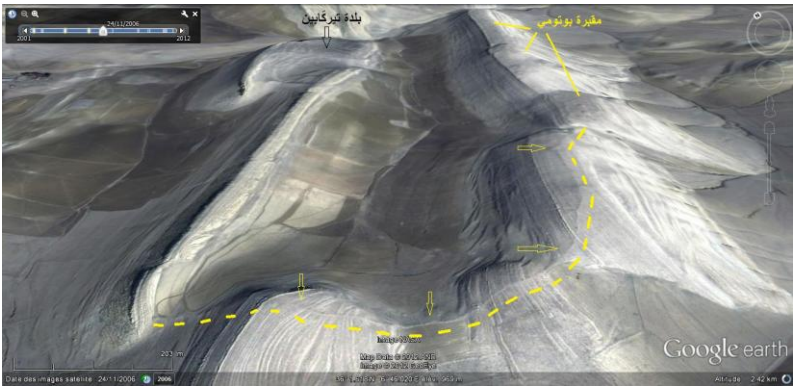

الصورة 4: جدار واصل بين بلدة تيركّابين وذراع بوتومي.

(عن Google earth)

❖ **موقع بونوّارة:**

آثار هذه البلدة تتربّع على هضبة مرتفعة غير مستوية السطح على الضفّة اليسرى لواد مهيريس محصورة بين الجهة المقابلة لمقبرة جبل مزيلا في جزئها الأكثر تركيزا للمعالم الجنائزية ومقبرة التلال الجنائزية المدرجة ضمن نفس المقبرة. فهي نوعا ما محمية طبيعيا بمنحدرات شديدة وبسيلان مجرى واد مهيريس من الجهة الشمالية والشمالية الشرقية وبمنحدرات متفاوتة الإرتفاع والإنحدار في جهاتها المتبقيّة. أكبر طول لهذه البلدة غير المذكورة بتاتا يقدّر بـــ 368 م ومتوسّط عرضها بـــ 167 م ممّا يمنحها مساحة 3 هكتار. (أنظر الصورة 5)

تظهر فوق سطحها المستغل حاليا لأغراض زراعية بعض المخلّفات البسيطة من شقف فخّارية مقولبة وخطوط لجدران مندسّة في جهتها الغربية بسبب تراكم تربة المرتفع الذي يعلوها، بالإضافة إلى العديد من القطع النقدية النوميدية التي تعرفنا عليها من خلال أوصاف المواطنين الذين عثروا عليها في هذا الموقع.

وعلى بعد 200 م غرب هذه الهضبة، تنتشر العديد من الجدران من النظام البربري البارزة فوق سطح الأرض في أماكن مرتفعة تتخلّلها منحدرات وشعاب عميقة، بعضها له مسارات طويلة نوعا ما تنقطع تارة لتعود في البروز في أماكن أخرى والبعض الآخر يشكل حلقات دائرية قد تكون لحويطات الحيوانات انهارت وانجرفت منها العديد من الصخور نحو الأسفل والتي تبرز مدى ارتفاع هذه الهيئات في الأصل (أنظر الصورة 6، 7)

الصورة 5: مخطّط لبلدة بونوّارة. عن Google earth.

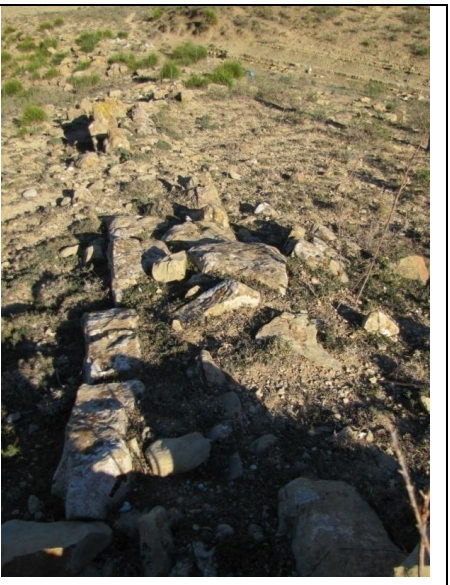

الصورة 6: جزء من الجدران الطويلة.
(تصوير الباحث)

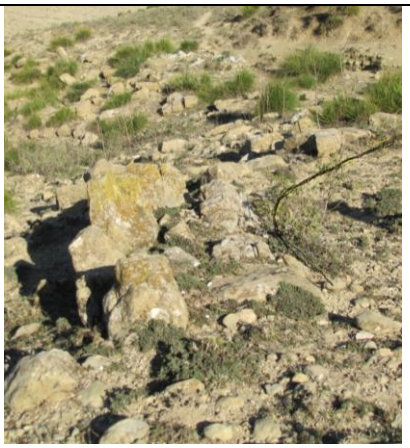

الصورة 7: جانب من الحويطة الحجرية.(تصوير الباحث)

❖ موقع سيلا

تنفرد بلدة سيلا النوميدية التي تعاقبت فوق سطحها مخلّفات تعود للحقبة الرومانية والبيزنطية، بنظام دفاعي متعدد التحصين من خلال الخصائص التالية:

– تحصينها الطبيعي المتمثّل في تربّعها على قمّة هضبة ممدودة، تنحدر من كلّ الجوانب بشكل شديد نحو شعاب وأودية تحيط بها.

– ما تبقّى من أسوار دفاعية والتي ما زالت أجزاء منها شامخة في المنحدرات الشمالية الشرقية والشمالية الغربية من الربوة، تبرز إزدواجية هذا النظام ببناء سور بصخور ميغاليثية مشذّبة جزئيا يحدّ مساحة البلدة مباشرة، وسور ثاني موازي للأوّل ويبعد عنه بمتوسط 50م شيّد في أسفل المنحدر الشمالي الغربي. (أنظر الصورة 8) إنّ مسألة بناء أسوار مزدوجة معروفة لدى النوميديين لحماية بلداتهم من الجهات الحسّاسة التي تفقد عموما للتحصينات

الطبيعية على غرار المهماز المقطوع بإيشوقّان الذي حصّنت واجهته المكشوفة بسورين متوازيين. (أنظر الصورة 9)

لم تبق آثار هذه الأسوار في الجهة الجنوبية الشرقية تماما ويرجع ذلك إلى تخصيص هذا المكان للموقع الروماني. وقد لاحظ لوجار هذه الأسوار التي كانت من الأكيد في وقته مازالت شامخة، بأنّ الأجزاء المنقوصة للسور قد أعيد استعمالها في بناء المدينة الرومانية[1]. وهذا ما يفسّر انقطاعها بين الحين والآخر في أرض الميدان.

كل عناصر هذا النظام أقتلعت من نفس المكان ذو السطح الصخري الجيري الذي يغلب عليه الطابع النتوئي ممّا أثر سلبا على عمليّات رص الصخور بصفة منتظمة وأفقيّة، فهي في الكثير من الأحيان مرتّبة بصفة فسيفسائية عشوائية (أنظر الصورة 10)، والتي قد تدلّ أيضا على سرعة إنجازها خلال شعور بخطر لم يكن في الحسبان أو لم يحسب له حساب، غير أنّ هناك أجزاء أخرى في الجهة الشمالية الشرقية شيّدت بكيفية متقنة والتي نرجع سببها إلى طبيعة الطبقات الجيرية الطبيعية المستوية والمسطّحة المنتشرة في هذا المكان. (أنظر الصورة 11)

كثيرا ما تنتشر في الفضاء الواقع ما بين السورين المتوازيين تلال جنائزية ومصاطب وحتّى بعض الفضاءات المسطّحة طبيعيا والمهيّئة بيد الإنسان قد تعود إلى مساكن. ويتعذّر علينا في الوقت الراهن معرفة ما إذ بنيت هذه الأسوار المتوازية في وقت واحد أم وجد إحداها قبل الآخر، لتتم عملية تحصين إضافية.

1 Logeart F., Grottes funéraires, hypogées et caveaux sous roches de Sila RSAC., T.63. 1935-1936. P.188.

الصورة 8: مسار السّور الموازي الأسفل. (تصوير الباحث)

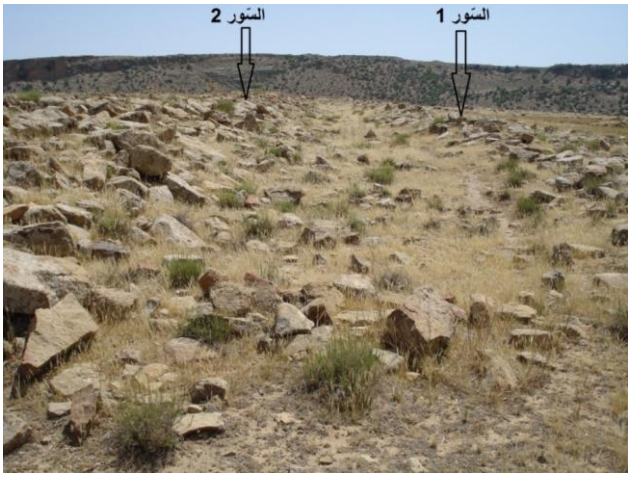

الصورة 9: أسوار مزدوجة للواجهة غير المحصّنة طبيعيا بإيشوقّان. (تصوير الباحث)

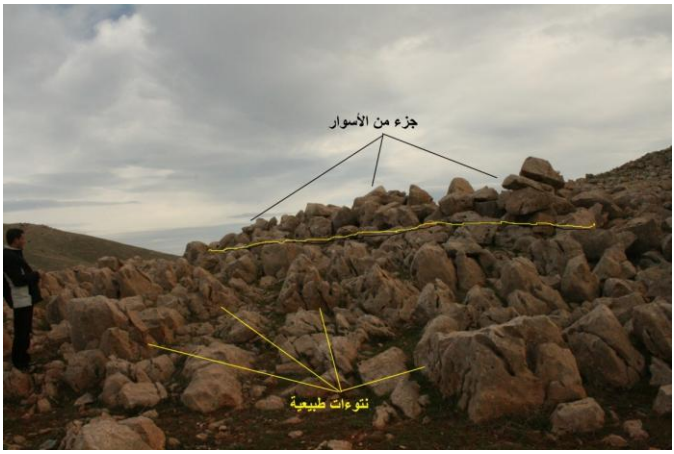

الصورة 10: سور ذو واجهة غير منتظمة. (تصوير الباحث)

الصورة 11: زاوية السور الشمالي الشرقي المرصوصة أفقيّا. (تصوير الباحث)

❖ **موقع كاف المنايع:**

يحتل موقع المنايع أو بما يعرف في المنطقة بتامنيعت قمّة جبل الريحان المنتمي لسلسلة القريون جنوبا، وهو عبارة عن حلمة Piton صخرية بارزة بشكل ملفت ضمن المظهر الطبيعي للمنطقة، إذ تطلّ على كامل سهلي عين الكرشة وعين الفكرون، تدعى أيضا بأغريو بمعنى مقبض غطاء الآنية أو القدر(أنظر

الصورة 12) بما يمثّل شكلها تشابه بلبغ بشكل القمّة الجبلية المحاطة بأسوار، كانت تحمي كما يقول مومني مساحة تقدّر بحوالي 800 م^2، وبداخلها يوجد عدد من المدافن الميغاليثية[1]. غير أنّ هذه الأسوار لم تكن تحيط بصورة متواصلة بكامل القمّة بل بنيت بطريقة ذكيّة واقتصادية سوى على الأماكن الحسّاسة ذات النقاط الضعيفة والتي قد تستغلّ كثغرة للولوج إلى القلعة وبعبارة أخرى، بنيت لتربط مختلف الجرف العمودية الطبيعية (أنظر الشكل 2).

الصورة 12: موقع المنابع على شكل غطاء القدر –أغريو-.(تصوير الباحث)

الشكل 2: أسوار دفاعية لموقع المنابع.[2]

1 Maumené Cdt., Les monuments mégalithiques des hauts plateaux de la province de Constantine. Rev. Arch., T. XXXIX, 1901. P.33.
2 Maumené Cdt., Op. Cit, Fig 8, P.34.

مسلك أنطونين، يضع معسكر قيصر Turris Caesari على بعد 15 ميلا (22 كلم) من سيقوس، وتبتعد تيركّابين عن سيقوس بـــ 15 كلم، فالمسافة التي تبعد بين معسكر قيصر والمدينة البربرية بتيركّابين هي 7 كلم. اقترح A. Vel الذي يعرف جيّدا هذه المنطقة، على أن يكون هذا المعسكر فوق مرتفع بجبل القريون الذي يبعد عن تيركّابين بـــ 7 كلم بناءا على الخريطة الغابية، على قمّة تدعى بكاف المنايع الذي تحدّه في كلتا الجهات الشرقية والجنوبية جرف عمودية أمّا الجهة الشمالية والغربية فبها منحدرات جدّ شديدة، ويمكن الولوج إلى سطحها عبر مدرّجات وعرة المسلك.

هذا الكاف متوّج في الأعلى ببقايا أسوار رومانية سمكها يقدّر ب 2 م. فهذه القمّة التي أستعملت كقلعة حقيقية تقدّر مقاساتها بـــ 60 م. X 30 م.، بها انكسارين في الصخر عرضهما 1 م. ينزلان عموديا يمكّنا حماة القلعة من استعمالهما للفرار عبر الجرف الجنوبي في حال السطو على القلعة من الجهة الشمالية[1]. (الشكل 3)

لقد أجحف A. Vel في مقاسات هذه القلعة بسبب صعوبة إجراء القياسات بالشريط المتري على مثل هذه التضاريس، فهي أوسع بكثير ممّا جاء به، حيث تقدّر بـــ 94,55 م X 51,39م.

من غير المستبعد أن تكون إحدي المدافن أو المقامات الميغاليثية المتربّعة فوق هذه الحلمة، لأحد زعماء القبيلة أو العرش القاطن بالمنطقة أو ربّما بني من فوقها معبد أو مزار بحكم جعلها قبلة لتوجيه بعض المدافن المنتشرة في موقع بووشّن كما رأيناه سابقا.

1Vel A., Monuments et inscriptions Libyques RSAC T.39., PP.224-225

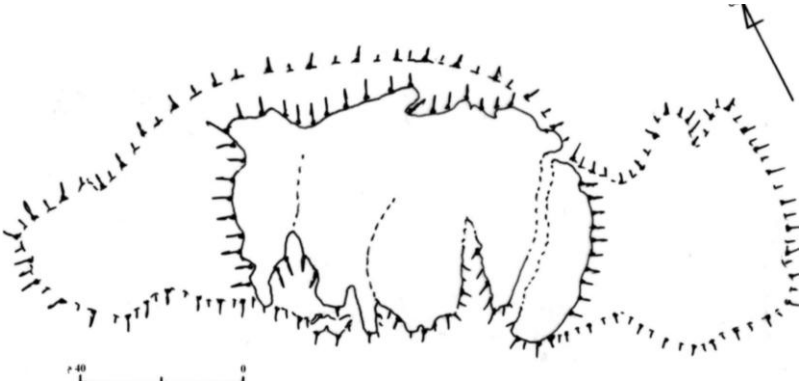

الشكل 3: مخطط للموقع الدفاعي بجبل المنايع. (إنجاز الباحث)

❖ **هنشير القلعة:**

يعدّ من أوضح الهيئات المحصّنة بجبل سي الطاهر نظرا لاحتمال وجود موقعين آخرين في المرتفعات التي تعلوه والتي تأثّرت بفعل التوسّع العمراني للمدينة الجديدة بعلي منجلي في تحصيصها الشمالي الغربي.

يكتسي موقع هنشير القلعة موقعا استراتيجيا ومحصنا كما تدلّ عليه تسميته، فهو بمثابة مهماز على شكل مائدة ذو جوانب عمودية تنتهي بمنحدرات شديدة محصورة من جهة بواسطة حلقة أو عقدة واد الرمال الوافر بالمياه طوال السنة والذي يزيدها مناعة من جهتها الشمالية الشرقية إلى غاية الجنوبية الغربية أي من ثلاثة نواحي. يقدّر أكبر طول القلعة بـــ 329 م وعرضها بـــ 200 م ممّا تمنحها مساحة تقارب 5 هكتار. (أنظر الشكل 4) سطحها المائل نحو الشمال، به آثار مندسّة تظهر أجزاء لجدران بنايات قد تعود لهيئات سكنية وخزّانات المياه تشهد على استقرار دائم من فوقها

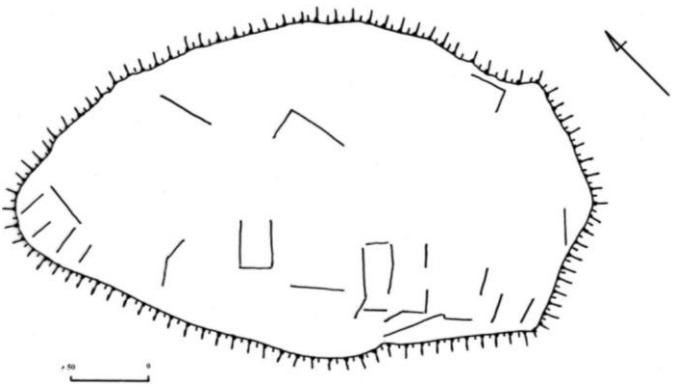

الشكل 4: مخطّط لهنشير القلعة. (إنجاز الباحث)

❖ **موقع بووشّن:**

هناك مخلّفات مادية صلبة جد هامّة في محيط المقبرة الميغاليثية وشبه الميغاليثية ببووشّن، نجدها معزولة عن بعضها بعشرات الأمتار في مناطق مسطّحة أو محصورة بين الطبقات الصخرية والمكوّنة لإحدى جبهات ذراع لغوالي المطل على سهل الغرسة والتي تحجبها من عدّة عوامل كالرؤية والريّاح. تكون قد بنيت في فترات سابقة للوجود الروماني أو خلال فترات كان يسودها السلم. ما تبقّى منها سوى أسس بناياتها المتمثّلة في جدران من النظام البربري (أنظر الصورة 13) تشكّل فضاءات مستطيلة الشكل وحلقات حجرية غير منتظمة ومختلفة المقاسات قد تعود لهيئات سكنية من النمط المزدوج البناء (حجرية عضوية) ولحويطات الحيوانات المستأنسة.

وقد تدارك تحصين هذه الهيئات المعزولة داخل نظام دفاعي يفقده التحصين الطبيعي المعهود، عن طريق بناء أسوار على مسار المنحدرات الملائمة نوعا ما والتي تتوفّر فيها شروط وفرة المادّة الحجريّة بنزع وقلع الكتل الصخرية بنفس الطريقة والتقنية المنتهجة في بناء المعالم الجنائزية من الأماكن الموازية لبناء السّور الذي قد سخّر في إنجازه أناس كثيري العدد بما اقتضاه طول إحدى

مساراته المقدّرة بأكثر من 300 م وذات عرض بمتوسّط 2.00 م والذي يتعيّن بأنه كان مرتفعا قد يفوق 2.20م وهذا بناءا على مدى طول بعض العناصر الصخرية الملقاة على جانبيه (أنظر الصورة 14)

الصورة 13: بقايا أسس لمباني من النظام البربري. (تصوير الباحث)

الصورة 14: بقايا من أسوار بووشّن. (تصوير الباحث)

لم يقتصر هذا النوع من الهيئات السكنية المحصّنة طبيعيا أو المدعّمة بنظام دفاعي عن طريق تشييد أسوار ميغاليثية على منطقة معيّنة، بل نجده منتشرا جميع المواقع التي درسناها سواء بالشرق الجزائري أو بالقطر التونسي، نجدها

متربّعة بالقرب أو في محيط المقابر الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية، والتي سوف نوليها إهتماما بليغا في دراساتنا وأبحاثنا اللاحقة إن شاء الله، ونذكر على سبيل المثال كل من المهاميز المقطوعة بـــ.

– شنيور الذي تربّعت من فوقه قلعة نوميدية تتوسّط إحدى أعظم المقابر الميغاليثية وشبه الميغاليثية في شمال إفريقيا، تقع على الضفّة اليسرى لواد شنيور على علو 925م، تطلّ من الغرب على موقع قلعة بوعطفان، ومن الشرق على شعبة تفصلها عن موقع حض البسباس، ومن الجنوب شعبة أخرى تحدّها عن موقع الصواقع، لهذه القلعة خصائص دفاعية طبيعية، إذ نجدها محميّة من الشمال والغرب بواسطة جرف منيعة ومرتفعة، ومن الشرق بواسطة منحدرات جد شديدة.اختير مكان بناء هذه القلعة على مقبرة تحتوي على معالم جنائزية بسبب موقعها الاستراتيجي والدفاعي الفريد في كل المنطقة، شيدت ربما بصفة إضطرارية في فترة غير مستقرة قد تكون إبّان الاحتلال الروماني للمنطقة،وكان الغرض منها الاحتماء خلف أسوارها المنيعة، سطح القلعة عبارة عن هضبة محدبة الظهر، طول سورها الجنوبي يقدر بـــ380م، وسورها الشرقي بـــ 320 م، أمّا خط الجرف فيقارب 400م، وهي ذات شكل مثلث تقريبا (أنظر الشكل 5)، بنيت أسوارها بصخور مقتلعة من عين المكان بنفس تقنيات القلع الطبيعي والمقصود بحجارة غير مصقولة وبنظام الجدران المزدوجة التي لا نجد لها مثيل سوى بداخل أغلبية المقابر الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية مثل سيقوس، بووشّن، رأس العين بومرزوق، إيشوقّان، ومناطق عدة بالأوراس.

بقيت قلعة شنيور النوميدية محافظة على العديد من أجزاء أسوارها حسب الأماكن المتواجدة فيها، فالعديد من بقاياه ما زال يحتفظ بكامل شكله وسمكه الذي يتراوح ما بين 3,80 و4,20م[1].

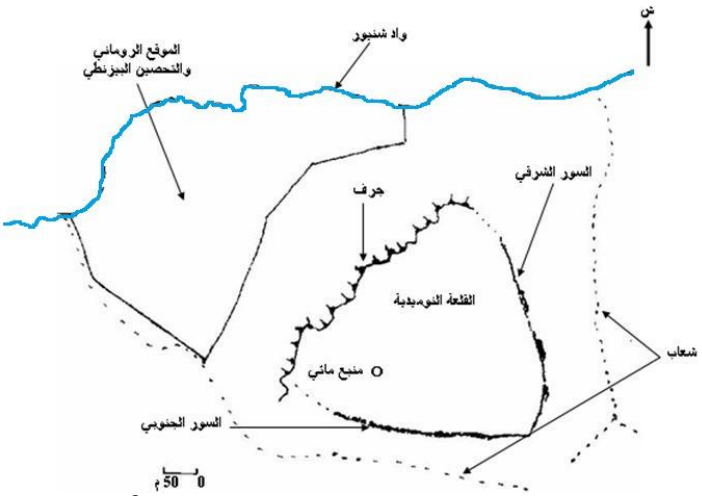

الشكل 5: مخطط القلعة النوميدية بشنيور[2].

– والمهماز المقطوع بإيشوقّان الذي تفصله عن مقبرة جبل بو دريسن من الجهة الغربية والجنوبية الغربية شعبة عميقة، تسميتها لها أكثر من دلالة تدعى بأخنّاق اللاّخرة (خنقة الآخرة) (أنظر الشكل 6) وكأنّها تفصل ما بين مدينة الأحياء الواقعة فوق مهماز إيشوقّان ومدينة ما بعد الموت بالجبل المذكور.

1زرارقة مراد، نبذة حول مقبرة وقلعة شنيور النوميدية. فعاليات الملتقى الدولي الثاني حول مكانة التراث والآثار.مجلّة الآثار، عدد خاص 2010، ص. 145-146.

2 زرارقة مراد، نفسه، المخطّط 1، ص. 145.

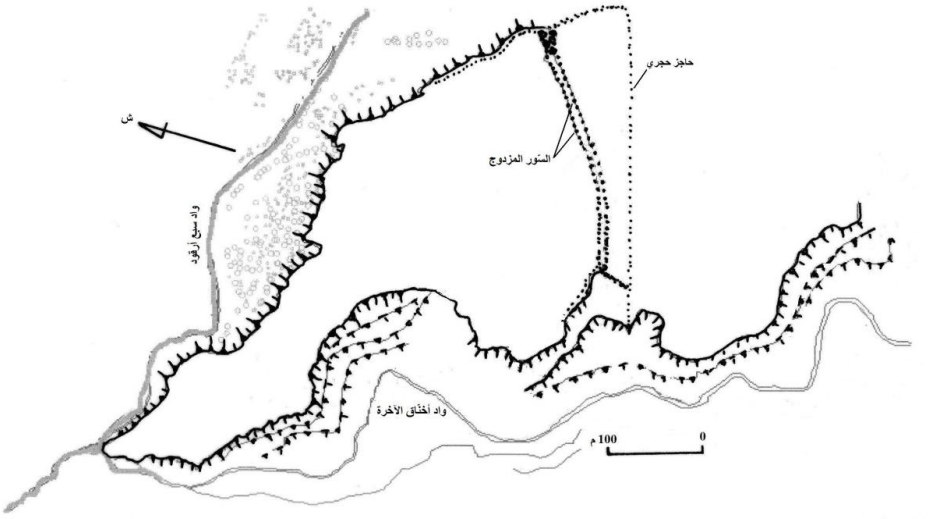

الشكل6: مخطّط للمهماز المقطوع بـــ إيشوقّان. (إنجاز الباحث)

هذا بالإضافة إلى أمثلة عديدة لنفس هذه المواقع كمهماز الترابزة Turris ubazaالمعاد استعماله في الفترة البيزنطية، والذي يتوسّط العديد من المعالم الجنائزية الشبه الميغاليثية (أنظر الصورة 15والشكل 7)، بالإضافة إلى المهاميز الكبرى لكل من جبل الجحفة بخنشلة وجبل الدّير بتبسّة (أنظر الشكلين 8 و9)، ومواقع بالقطر التونسي نذكر من بينها مائدة قلعة سنان قرب تيجروين التي تعلو مدافن الحوانيت وواقعة بمقربة من مقابر المصاطب والتلال الجنائزية. (أنظر الشكل 10).

الصورة 15: مهماز الترابزة. (تصوير الباحث)

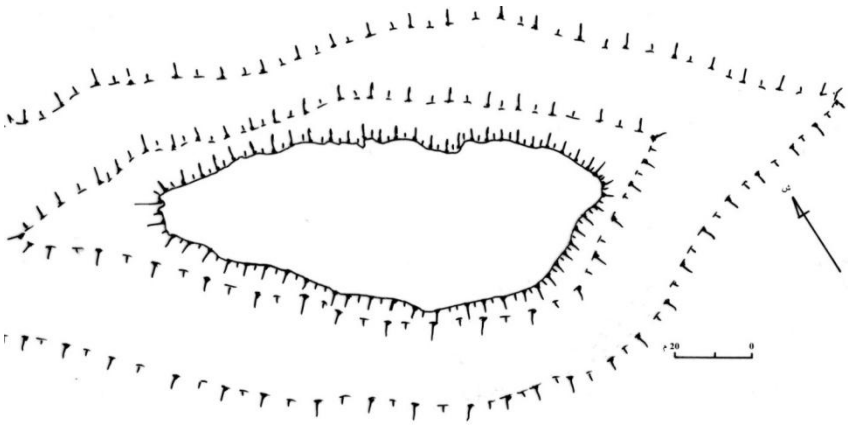

الشكل 7: مخطّط لمهماز الترابزة. (إنجاز الباحث)

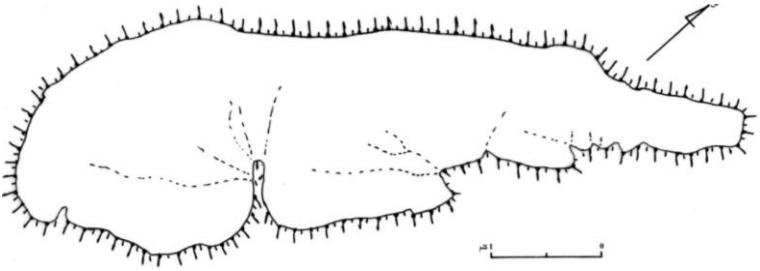

الشكل 8: مخطّط لجبل الجحفة. (إنجاز الباحث)

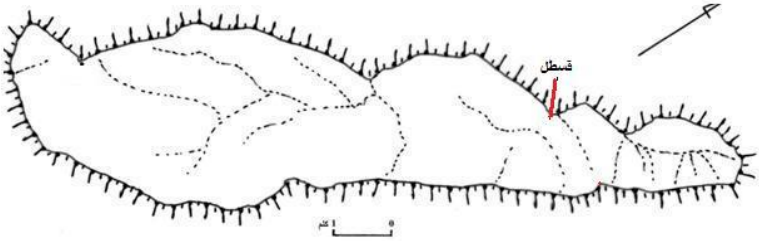

الشكل 9: مخطّط لجبل الدّير. (إنجاز الباحث)

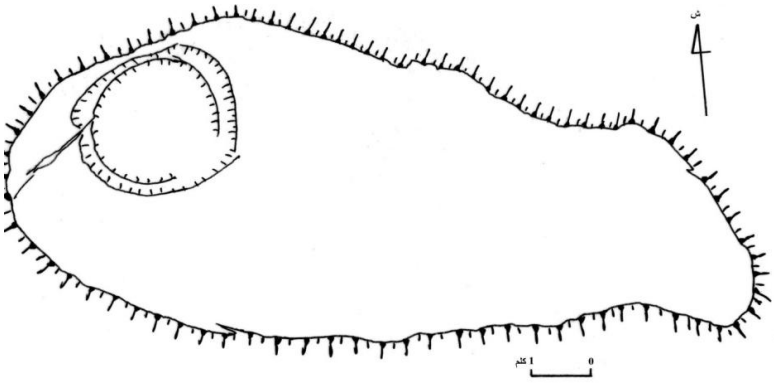

الشكل 10: مخطط لقلعة سنان. (إنجاز الباحث)

وتبقى التنقيبات وحدها الجديرة بتسليط الأضواء على المعرفة أكثر بما قد تكتنزه طبقات هذه الهيئات السكنية المتطرّق إليها في هذا البحث من معطيات تأريخية ومعمارية وفنيّة وكذا مختلف جوانب الحياة اليومية كما هو معمول به بالقطر التونسي من خلال الحفريّات المنجزة من قبل البعثة التونسية الإسبانية في السنوات الخمس الأخيرة على موقع ألتيبورّوس Althiburos، أين عثر على آثار وبقايا هذه الفترة متناثرة هنا وهناك نظرا لإعادة استعمال الموقع لفترات زمنية لاحقة ترجع للفترة الرومانية إلى غاية الفترة الإسلامية الوسيطة.

ومن ضمن ما عثر عليه في الطبقات العميقة للموقع تمّ تفسيره بوجود ثلاث حقب مدرجة في الفترة النوميدية، قسّمها الفريقان إلى[1] :

- ✓ الحقبة النوميدية القديمة، وتعود على الأقل إلى القرن التاسع ق.م لتتواصل إلى غاية القرن الثامن أو بداية السابع ق.م وهذا بناءا على تأريخات بالكاربون 14 أجريت على عيّنات من الفحم والعظام أستخرجت من الوحدات الطبقية US 290432 بتأريخ يتراوح ما بين 820 و1000 ق.م، US 29O433 بتأريخ يتراوح ما بين 840 و1020 ق.م وأخيرا US 290438 بتأريخ يتراوح ما بين 810 و1000 ق.م.
- ✓ الحقبة النوميدية الوسيطة، وتنحصر مع أقصى نهاية القرن السابع ق.م إلى غاية نهاية القرن الخامس أو بداية الرابع ق.م ممثّلة في طبقة رقيقة من الترسّبات الرمادية تحتوي على بقايا عضويّة للبقول الجافة وشققة لكأس coupe قرطاجي ذو بطانة حمراء ذات كتف على الجانب carené وحافة

1 Kallala N. et Sanmarti J., Althiburos I, La fouille dans l'aire du capitole et dans la nécropole méridionale, Documenta18, 2011, P. 31-33.

مرتفعة بالإضافة إلى شقف لأنفورة قرطاجية أيضا ذات شكل بيضوي وقاعدة لقدم.

✓ الحقبة النوميدية الحديثة، وتمتد من القرن الرابع ق.م إلى غاية بداية فترة الأمبراطورية الرومانية. تميّزها وفرة الفخّريات المستوردة من السواحل التونسية وأهمها قرطاجة بوجه الخصوص ونادرا ما تكون من اليونان أو ايطاليا.

لم تقتصر التحصينات النوميدية القريبة من المقابر الميغاليثية وشبه الميغاليثية على النماذج المحصّنة بأنظمة دفاعية كالأسوار، بل هناك العديد من الملاجئ الطبيعية كالقمم العالية، و المهاميز الطبيعية والتي بقيت تسمياتها القديمة تِكّد دورها الوقائي والحامي للأشخاص ، إذ نجد العديد من هذه االتكوينات الطبيعية تسمّى بالمنايع، المنيعة وأحيانا المنية، أو القلعة (تاقليعت). لا نجد عليها آثار المباني أو الأسوار، بل عدد من الشقف الفخّارية التي كثيرا ما تكون مقولبة، قد تعود إلى سكّان محليين احتموا فوق هذه المظاهر الطبيعية المنيعة بجرفها ومنحدراتها الشديدة لفترات استثنائية ولفترات معيّنة منذ العهود القديمة إلى غاية الفترة العثمانية .

قائمة المراجع:

1- زرارقة مراد، نبذة حول مقبرة وقلعة شنيور النوميدية. فعاليات الملتقى الدولي الثاني حول مكانة التراث والآثار.مجلّة الآثار، عدد خاص 2010.

1- Camps G., Réflexion sur l'origine protohistorique des cités en Afrique du nord.

2- Kallala N. et Sanmarti J., Althiburos I, La fouille dans l'aire du capitole et dans la nécropole méridionale, Documenta18, 2011

3- Logeart F., Grottes funéraires, hypogées et caveaux sous roches de Sila. RSAC., T.63. 1935-1936. P.188.

4- Maumené Cdt., Les monuments mégalithiques des hauts plateaux de la province de Constantine. Rev. Arch., T. XXXIX, 1901.

5- Mercier G., La langue Libyenne et la toponymie antique de l'Afrique du nord. J.A., Octobre-Décembre 1924.

6- Vel A., Monuments et inscriptions Libyques relevés dans les ruines de Tir-Kabbine. RSAC, T. XXXIX, 1905.